

نحو تصوّر جديد لبناء مناهج اللغة العربية في ضوء فلسفة الذكاء الاصطناعي

Towards a new conceptualization for Arabic curricula in the light of an artificial intelligence philosophy

د. فهيمة حزام

Fahima Hazzem

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2

Mohammed Lamine Debaghine _ setif2 University (Algeria)

f.hazzem@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2024/12/02

تاريخ القبول: 2024/10/10

تاريخ الإرسال: 2024/09/15

ملخص البحث

تناول البحث موضوع تصوّر جديد لبناء مناهج اللغة العربية في ضوء فلسفة الذكاء الاصطناعي، في محاولة لتقديم مقترح لتحديث هذه المناهج حتى تواكب المستجدات التربوية والتعليمية التي تنزع نحو توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم كتوجه عالمي معاصر. ومن هذا المنطلق، يبدو أنّه حان الوقت للتفكير في تقويم مناهجنا التقليدية لتندرج ضمن هذه الحركة العالمية ولا تتخلف عنها. وتوصل البحث إلى عدّة نتائج أهمّها: أنّ مناهج تعليم اللغة العربية بحاجة إلى أن تتطوّر وفق مبادئ تفعيل الاستراتيجيات التعليمية والتعلمية المنبثقة من فلسفة الذكاء الاصطناعي، مع ضرورة توفير المناخ التعليمي المناسب لتنفيذ هذه المناهج. الكلمات المفتاحية: مناهج تعليمي، ذكاء اصطناعي، لغة عربية.

Abstract :

The present paper discusses a new conceptualization of Arabic language curricula within the field of artificial intelligence philosophy. By attempting to propose a modern plan, the aim is to align these curricula with current educational advancements. As educational trends increasingly incorporate artificial intelligence, it is necessary to update the curricula to remain relevant. It

* د. فهيمة حزام f.hazzem@univ-setif2.dz

is now paramount to evaluate the traditional curricula for integration into this global movement.

The study determined various outcomes, notably underscoring the necessity of enhancing Arabic language teaching curricula by integrating educational and learning strategies rooted in artificial intelligence philosophy. Moreover, creating an appropriate educational environment is crucial for successful implementation of these curricula.

Keywords: Artificial intelligence, educational curriculum, Arabic.



مقدمة:

أصبحت التكنولوجيا الذكية من أهم السمات البارزة لعصرنا الحالي، وذلك بعد التطور الكبير الذي عرفه الذكاء الاصطناعي ودخوله بتطبيقاته في كثير من المجالات العلمية والمعرفية بما فيها مجالات العلوم الإنسانية، ومن الميادين الحساسة التي مسها نجد ميدان التعليم الذي يشهد استخداما متزايدا للتكنولوجيا الحديثة، مما جعل المنشغلين بتطوير المنظومات التربوية وتحديثها يرون في المناهج التعليمية الحالية قصورا وعجزا عن مواكبة هذه المستجدات والتي من شأنها تحسين العملية التعليمية وتجويد التعليم وتعزيزه.

ينطبق على مناهج اللغة العربية ما ينطبق على المناهج التعليمية عموما، ولذلك ينبغي التفكير الجاد في تطويرها من منطلق الذكاء الاصطناعي ودوره في التعليم، خاصة وأن هذه اللغة غاية ووسيلة في الوقت نفسه بوصفها لغة التعليم، وهو ما يجعلنا نتساءل عن المنظور الجديد لتصميم هذه المناهج، المنظور الذي يراعي استخدام الذكاء الاصطناعي في التعليم بغية الاندماج في المسار التربوي والتعليمي المعاصر المرتكز على توظيف التقنية الذكية.

وبناء على ما سبق ذكره، يكتسي البحث أهميته من المجال الذي يندرج فيه، ألا وهو تقويم المناهج وتطويرها بغرض تطوير التعليم وتحديثه، وهو المجال الذي لا يمكن أبدا إغفال دوره في تطوير المجتمعات، وكيف لا نسعى إلى تطوير مناهجنا التعليمية لتتأشى مع طبيعة المتغيرات الحاصلة معرفيًا على مستويات وأصعدة عديدة، ترتبط بالفرد وتكوينه النفسي، كما ترتبط بالعصر ومتطلباته وتوجهاته المتسارعة نحو توظيف التقنية بشكل يمثل ضرورة حتمية لا خيارا بديلا.

من هنا، يعالج البحث إشكالية تتمحور حول كيفية تطوير مناهج اللغة العربية من منطلق الذكاء الاصطناعي وفلسفته في التعليم، ويمكن التعبير عن هذه الإشكالية بطرح السؤال الآتي: كيف يمكن توظيف الذكاء الاصطناعي في صناعة مناهج تعليم اللغة العربية وهندستها؟

وعليه، فإنّ الهدف العام لتناول هذا الموضوع هو تقديم تصوّر عام أو رؤية شاملة عن كيفية إدراج هذه المعرفة فيما يخصّ الذكاء الاصطناعي في بناء المناهج وتصميمها في شكل توجيهات عامة، وتوضح هذه الرؤية من خلال مكونات المنهج وعناصره، خاصّة وأنّ الدراسات في مجال المناهج التعليمية من هذا المنظور لا تزال في بداياتها الأولى كما أنّ مجمل الدراسات المتوافرة تتركز على استخدام الذكاء الاصطناعي كتطبيقات عملية وممارسات تعليمية، ولذلك أصبح الخوض في هذا الموضوع بات مسعى معاصرا وهدفا ومطلبا مشروعا.

أولاً: المنهج التعليمي:

1 - مفهوم المنهج التعليمي:

تسعى العملية التعليمية إلى إكساب المتعلّمين مجموعة من الخبرات المتنوعة التي تمسّ بناء شخصياتهم في جوانبها المختلفة، ويكون لهذه الخبرات أثرها الملموس في حياة الفرد والمجتمع، ومع انتقال التركيز من المعلّم إلى المتعلّم تغيرت كثير من المفاهيم وعلى رأسها مفهوم المنهج التعليمي، بعدّه ركيزة وعصب المنظومات التعليمية الذي يحسّد الفلسفات التربوية المعاصرة التي تبحث عن الفاعلية، من خلال الإجراءات التي تعكس التوجهات الكبرى التي ينتظر من خلال وضعها موضع التطبيق والتنفيذ الحصول على مخرجات ذات جودة.

وقد تطوّر مفهوم المنهج التعليمي عبر مراحل مختلفة تماشت مع تطوّر فلسفات التربية والتي بدورها سارت جنباً إلى جنب مع تطوّر المنظومات المجتمعية؛ حيث كان المنهج يعبر عن برنامج دراسي يشمل جملة من المواد والموضوعات التدريسية، ثم أصبح بمعنى محتوى مقرر معيّن في البرنامج الدراسي، مع افتقاره إلى عنصر التخطيط (ماعد التخطيط لاختيار المحتوى)، ليصبح فيما بعد يحمل مفهوماً حديثاً يعبر عن الخبرات والتخطيط للتعلّم بتجاوز المفهوم التقليدي الذي يدلّ على مقرر دراسي معيّن، وقد تمّ تهذيب وصقل مفهوم المنهج عبر سنوات عديدة تغيرت فيها النظرة إلى ماهيته وإلى وظيفته ودوره.¹

وهكذا تطوّر مفهوم المنهج من المفهوم التقليدي إلى المفهوم الحديث الدالّ على الخطّة الشاملة والمنظمة، وأصبح المقرر مكوناً واحداً من المكونات المترابطة، والتي تكمل بعضها بعضاً في شكل بناء منسجم، وأصبح يطلق على مكون المادة المقرر تدريسها مصطلح المحتوى التعليمي، والذي يخضع في اختياره وتنظيمه إلى عدّة معايير، واتسع المفهوم ليعبر أيضاً عن الأهداف والأنشطة التعليمية والتعلّمية، والمعلّم والمتعلّم والظروف المحيطة بهما.²

لقد ساعدت عوامل عديدة على توسيع مفهوم المنهاج التعليمي الحديث، وكان ذلك بالاستعانة بعلوم معرفية أسهمت في إثراء الفكر التربوي فيما يرتبط بالأهداف التعليمية والأنشطة والمحتويات. إنّ المنهاج التعليمي اليوم خطة متكاملة ووحدة عضوية متأسكة تشتمل على عدد من العناصر مبنية في شكل نظام، ويُراعى في تخطيط وبناء هذا النظام الفاعلية التي تعود على الفرد والمجتمع، ولذلك يمكن تعريف المنهاج بأنه: " مجموع الخبرات المرتبة التي تهيئها المدرسة للتلاميذ داخلها أو خارجها، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل في جميع الجوانب (العقلية، الثقافية، الدينية، الاجتماعية، الجسميّة، النفسيّة، التقنيّة) نموًا يؤدي إلى تعديل سلوكياتهم ويعمل على تحقيق الأهداف التربوية المنشودة"³، وهذا المفهوم الحديث ربط المنهاج التربوي بالمجتمع وطموحاته وغاياته، ولذلك فإنّ الجهود في هذا المجال منصّبة على تحقيق الجودة التعليمية.

2 _ تخطيط المنهاج التعليمي وبناءؤه:

ويستند المنهاج التعليمي - بوصفه نظاما مترابط العناصر - في بنائه وتصميمه إلى مجموعة من الأسس التي تمثل الأطر المعرفية ذات الصلة بالمنظومة التربوية، فعملية البناء تعني كيفية تحديد مسار المنهاج وتنسيق العلاقات بين عناصره في شكل تكاملي متأسك، ويتم الحكم على صلاحية المنهاج عن طريق عملية التقييم ومن ثمة تأتي عمليات التحديث والتطوير والتعديل والإصلاح.

يتم التخطيط للمناهج التعليمية ثمّ الشروع في البناء والذي يعدّ عملية صعبة وشائكة؛ وذلك لوجود عدّة معايير وشروط ترتبط بالعناصر المكوّنة للمناهج، مع مراعاة العلاقات الانتظاميّة بينها، وكذلك مراعاة الاستثمار الجيد للمعرفة الإنسانية التي تخدم هذا المجال وهي التي تشكّل الخلفيات المعرفية لبناء المنهاج. وهناك عدّة علوم ذات صلة وثيقة بمجال التربية والتعليم وهي التي تؤثر في عملية بناء المنهاج وتوجيهها وتحكم فيها. ومن هذا المنطلق، فإنّ عملية بناء المنهاج " عملية معقّدة تتطلب جهودا متعدّدة، ومشورة المتخصّصين في جوانب العملية التعليمية "⁴.

وتسعى منظومة التربية والتعليم من خلال بناء شامل ومتكامل للمناهج التعليمية إلى تحقيق طموحات المجتمع باستثمار المتاح العلمي والمعرفي الذي يأتي بالجديد باستمرار، وكلّ ذلك بهدف تحقيق الجودة بتزويد المتعلّم بالخبرات الثريّة من معارف وقيم ومهارات وقدرات.

3 _ عناصر المنهاج التعليمي وروافده الأساسية:

يتكوّن المنهاج من عناصر مترابطة وهي: الأهداف، والمحتويات، والأنشطة التعليمية والتعلّمية وأساليب التقييم، وتتفاعل هذه العناصر فيما بينها وتتوّثر في بعضها بعضا،⁵ فالأهداف هي العنصر الأوّل والمنطلق الأساسي الذي تُختار على أساسه المحتويات التعليمية، وتُختار الأنشطة والطرائق التدريسية وأساليب

التقويم، وحقل التربية والتعليم حقل خصب لاستثمار النظريات المتاحة واختبار مدى فاعليتها بتنفيذ المناهج على أرض الواقع والحكم على المخرجات التعليمية.

تتعدد المصادر والتوافد التي يستند إليها المختصون في صناعة المناهج، وهذه المصادر تدعم بعضها بعضا كسياق معرفي شامل، وهي:

أ - الأسس الفلسفية: حيث تغذي الفلسفة التربية بالأفكار والنظريات، ولطالما كانت العلاقة قائمة بين المجالين بل هي علاقة متينة " فهما وجهان لشيء واحد، يمثل الوجه الأول فلسفة الحياة النظرية بما فيها من مثل، ويمثل الوجه الثاني طريقة تنفيذ تلك الفلسفة؛ أي الأداة العملية المرسومة المحققة لتلك المثل وتطبيقها " ⁶، ولطالما تحكمت الاتجاهات الفلسفية على تعددها في تحديد مسار التربية ومناهجها، وقد تغيرت اليوم النظرة إلى طبيعة التعليم ومفهومه في عصر تعدد التكنولوجيا الذكية من البنات الأساسية لبناء المجتمع فيه.

ب - الأسس المعرفية: إذ يعد الجانب المعرفي أساسيا في المنهاج الدراسي، لأن المعرفة مطلب إنساني، ولا يمكن تصوّر منهاج دون معرفة تُقدّم إلى المتعلم في مجال ما، ويركّز المختصون في علم المناهج على انتقاء المعارف المؤثرة في حياة الفرد والمجتمع، وللأسس المعرفية دور بارز في تخطيط المناهج وبنائها، وهي معيار هام للمفاضلة بين المناهج حسب القيمة المعرفية المستفادة من كلّ منها، إضافة إلى مقدار نسبة الدقة في المعلومات التي تحتوي عليها، وكلما تطوّرت المعرفة كانت المناهج بحاجة إلى تحديث وتطوير. ⁷

ج - الأسس النفسية: وهذه الأسس هي: " المبادئ النفسية التي توصلت إليها دراسات وبحوث علم النفس حول طبيعة المتعلم وحاجاته وميوله وقدراته واستعداداته، وحول طبيعة التعلم التي يجب مراعاتها عند وضع المنهاج وتنفيذه " ⁸.

ومن هذا المنطلق، تمثل هذه الأسس النظريات النفسية التي تقدّم تصوّراتها حول نظريات التعلم والجوانب المرتبطة بها، ولذلك يراعى في تحديث المناهج وتطويرها جديد الاتجاهات النفسية في هذا المجال.

د - الأسس الاجتماعية: وذلك من منطلق أنّ التعليم وسيلة المجتمعات لتحقيق أهدافها وطموحاتها، والعلاقة بين التربية والتعليم وبين المجتمع علاقة تأثيرية تأثرية؛ وذلك لأنّ المجتمع بفلسفته يؤثر في توجيه النظرية التربوية من جهة، ومن جهة ثانية تؤثر التربية في تطوير المجتمع.

ويوجّه المجتمع التربية من خلال نوعية الأفراد المراد تعليمهم في المؤسسات التربوية والمرغوب في تنشئتهم على قيم ومثل معينة، فالأساس الاجتماعي للمنهاج يقصد به: " مجموعة المقومات أو الركائز ذات العلاقة بالمجتمع الذي يعيش فيه المتعلم، والتي يجب أخذها في الحسبان عند تخطيط المنهج أو تنفيذه أو تطويره " ⁹، والمجتمع باختلاف أنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية أساس فعال من أسس هذه المناهج.

4 _ تطوير المناهج التعليمي:

تتطوّر المناهج التعليمية باستمرار لتواكب المستجدات الحاصلة في المجالات المعرفية المؤثرة في توجيه الفكر التربوي، وتأتي عملية التطوير بعد عملية التقويم لتستدرك النقائص وتقدّم الحلول والبدائل؛ ذلك أنّ التطوّرات التي تحدث في هذا المجال تنطلق من تساؤلات جديدة، يطرحها المختصون في تقويم المناهج وتطويرها من أجل تقديم الإجابات عنها، وهي ترتبط بالجوانب الآتية:¹⁰

- محور البرنامج.
 - إدارة التعلم.
 - تنظيم المادة التعليمية.
 - استراتيجيات التدريس.
 - إدارة العمل الصفّي.
 - دور المعلم.
- وتتخذ عملية تطوير المناهج عدّة مداخل، من ذلك مثلا المدخل التكنولوجي.

ثانيا: المناهج التعليمية والذكاء الاصطناعي:

1 _ الذكاء الاصطناعي: المفهوم والخصائص:

لقد أحدث الذكاء الاصطناعي ثورة حقيقية في عصرنا الحالي وطفرة نوعية في مجالات الحياة المختلفة بل أصبح عصب الحياة المعاصرة، وحقّق نجاحات باهرة ونقالات نوعية في تحسين الأداءات الاقتصادية والإدارية والصحية والتعليمية.

لقد كانت النواة الأولى لظهور الذكاء الاصطناعي هي الفكرة التي أتى بها عالم الأوتوماتية البريطاني الشهير (آلان تورينغ، A. Turing)، والتي مفادها: " أنّ كلّ شكل من أشكال التفكير البشري الممكن التعبير عنه بلغة ما يمكن أن يُقلّد بآلة مطلقة كونيّة، إذا بُرّجت هذه الأخيرة بشكل ملائم"¹¹، من منطلق أنّ الدماغ البشري عبارة عن برنامج وترتيب دقيق يتحكّم في الجسم، فإذا كانت عملية المحاكاة والتقييس ملائمة فإنّ الآلة ستتصرّف مثل تصرّف الإنسان.

نشأت نظرية الذكاء الاصطناعي في سياق معرفي عام تطوّرت فيه العلوم المعرفية بشكل كبير، وعلى رأسها: الفلسفة، وعلم النفس، وعلوم اللغة، وعلوم الحاسوب، وافتحت على بعضها في الخمسينات من القرن الماضي كعلوم هدفها العام دراسة العقل والسيرورات المعرفية داخله، ويبحث الذكاء الاصطناعي _أحد علوم الحاسوب_ في تطوير قدرة الآلة لتحكي قدرات الإنسان. وتوجد عدّة تعريفات للذكاء الاصطناعي في الأدبيات المختصة، منها تعريف شاع كثيرا لفترة طويلة من الزمن مفاده أنّ الذكاء الاصطناعي هو: "تصرّف

الجهاز الذي لو عمله الإنسان فسيطلق عليه الذكاء "12"، وهو تعريف يركّز على التصرف أو السلوك الآلي الذي يحاكي السلوك البشري.

يهتم الذكاء الاصطناعي باستنساخ الدماغ البشري ومحاكاة وظائفه لتمكّن الآلة من القيام بالمهام التي يقوم بها الإنسان، وأهمها مهمة التفكير؛ فمنذ أن ظهرت الحواسيب في الأربعينات من القرن الماضي والإنسان دائم البحث عن أدوات تقوم بتوفير الجهد والوقت في القيام بالأعمال والمهام التي يؤديها هو، وراح يطور هذه الأدوات والآليات لتقوم بذلك بسرعة ودقة أكثر من الإنسان نفسه.

ويهدف الذكاء الاصطناعي إلى تحقيق هدفين اثنين: فهم ملكة الذكاء البشري أولاً، ثم محاكاته ثانياً وذلك عن طريق عمل برامج للحاسب الآلي قادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء "13"، وبالنسبة لملكة الذكاء الطبيعي، يتم التعرف عليها من خلال الخصائص، مثل حلّ المشكلات واكتشاف الأخطاء وتصحيحها والقدرة على التعلم وعلى التكيف، ولذلك لا يوجد تعريف دقيق للذكاء البشري يركز على الماهية والأمر ذاته بالنسبة إلى الذكاء الاصطناعي الذي يظهر أيضاً من خلال هذه المعايير والخصائص، إضافة على السرعة والدقة في التخزين والاسترجاع والمعالجة، والسعة الكبيرة الذاكرة الإلكترونية مقارنة بالإنسان.

2_ الذكاء الاصطناعي في التعليم:

من المجالات التي دخلتها تطبيقات الذكاء الاصطناعي وأساليبه مجال التعليم؛ فهناك اليوم توجه عالمي نحو الاستفادة من قدرات وكفاءات الذكاء الاصطناعي في تحسين التعليم وتعزيزه وتجويده، نظراً لما أثبتته التقنية من فعالية في هذا المجال.

لقد أصبحت العملية التعليمية تعتمد على توظيف الذكاء الاصطناعي في عصر تكنولوجيا المعلومات فالكَم الهائل من المعلومات تمت السيطرة عليه بواسطة أساليب التكنولوجيا الذكية، وأصبح الحصول على هذه المعلومات متاح عن طريق استرجاع المتعلم لها بيسر وسهولة وفي أي وقت يشاء، مع التمتع بعدة ميزات مثل توفر عدّة بدائل متنوّعة وثريّة للتعلم، ومنح فرص كثيرة للتعلم عن طريق عدد كبير من الأساليب والأدوات مثل المنصات التعليمية والمكتبات الإلكترونية والمواقع التعليمية والبرامج الحاسوبية وتطبيقات الأندرويد. ومن هذا المنطلق، أصبحنا نتحدّث اليوم عن التعلم المفتوح المتعدّد الموارد والمصادر.

وعليه، تعدّ البيئة التعليمية الحالية المرتكزة على الفصول الدراسية وعلى الكتب المطبوعة، غير قادرة بمفردها على تحقيق أهداف التعليم، وغير ملائمة لبعض المتعلمين الذين يحتاجون إلى طرائق غير تقليدية للتعلم واكتساب المعرفة،¹⁴ ولذلك قدّم الذكاء الاصطناعي بدائل ثريّة ومغرية للتعلم.

3 _ الحاجة إلى مفهوم جديد للمناهج التعليمي في ضوء الذكاء الاصطناعي:

إنّ توظيف أساليب الذكاء الاصطناعي في تطوير العملية التعليمية في البلدان العربية بدأ يخطو خطى ثابتة بغرض مواكبة التطوّرات الحاصلة في المنظومات التربوية الغربية، مع وجود صعوبات وعوائق ناجمة عن الفجوة الرقمية بين منتج التكنولوجيا الذكية وبين مستهلكها. ودخول الذكاء الاصطناعي ميدان التعليم بما وفّره من إيجابيات وميزات يجعلنا نتساءل: هل نحن بحاجة إلى مفهوم جديد للمناهج؟

لقد أصبحنا نبحت عن المنهج الحديث القائم بالأساس على مبادئ التكنولوجيا الذكية، وجعلها معيارا للتفريق بين نوعين من المناهج؛ النوع الأول: مناهج يمكن توصيفها بالتقليدية من حيث الاستراتيجيات التعليمية والنوع الثاني يفعل استراتيجيات الذكاء الاصطناعي ويتجاوز المفهوم التقليدي السابق الذكر، وهنا تبرز الحاجة إلى مناهج قادرة على استيعاب الراهن في العالم، والذي عصبه الذكاء الاصطناعي.

يمكن القول: إنّ مناهجنا الحالية قاصرة أمام التدقّق التكنولوجي الذي القادر على تطويرها وتحديثها من خلال الاستثمار الجيد والتوظيف الواعي، وهي غير قادرة على مواكبته، وخير دليل على عجزها وقصورها ما حدث أثناء أزمة وباء كورونا. إنّ تطوير المناهج من منطلق فلسفة الذكاء الاصطناعي يحتاج توفير بيئة تعليمية مناسبة، من أهم شروطها توفير التكنولوجيا الذكية في المدارس والتحكّم فيها بشكل جيّد، مع الوعي الكامل بسبيلاتها، ويتطلّب الأمر بالمقابل أيضا الوعي الكامل بتحديات التعليم في عصر الرقمنة. يتيح استخدام التكنولوجيا الحديثة الذكية تحقيق عدد من الأهداف، ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:¹⁵

- تحسين العملية التعليمية، وذلك من خلال تفعيل المشاركة القائمة بين المعلم والمتعلم باستخدام الوسائل التكنولوجية.
- تنويع الخبرات المقدمة للمتعلم؛ حيث تُمكن الوسيلة التعليمية المقدمة للمتعلم من تنويع الخبرات من خلال المشاهدة والاستماع، والمساعدة على تذكّر المادة التعليمية لأطول فترة ممكنة.
- تقويم المادة التعليمية باستمرار.
- تنويع أساليب التعليم.
- اختصار الوقت المحدّد للتعليم.
- تدريب المتعلم على حلّ المشكلات.
- تنمية الثروة اللغوية للمتعلمين عن طريق المشاهد والمواقف التي تزوّدهم بها الوسائل التكنولوجية.

وتلبي التكنولوجيا الذكية الاحتياجات التعليمية المتزايدة مع تحقيق السهولة في الاستخدام والقدرة على التكيف، وتتميّز الأساليب الذكية بالتشويق والتنوع والمرونة، وكلها ميزات تجذب اهتمام المتعلّم الذي لم تعد ميولاته متجهة اليوم نحو ما هو ورقي في عصر الإلكترونيات.

لقد أصبح التساؤل عن دور المعلم في التعليم المعتمد على الذكاء الاصطناعي يفرض نفسه في الساحة إلحاح، بل أكثر من ذلك بدأ التساؤل حول إمكانية التخلي عن المعلم وإحلال برامج الذكاء الاصطناعي محله في القيام بأدواره، حيث سهّلت الوسائل والأدوات الذكية على المعلم أداء مهامه من تحضير للدروس وتنويع في أساليب التدريس وإثراء للمحتويات باستخدام التطبيقات الذكية، لكن يجب أن تتم العملية التعليمية على هذا النحو في ظلّ ضوابط وشروط أهمها دور المناهج في ضبط هذه العملية في خضمّ هذا الزخم المعرفي الرقمي الكبير التّاجم عن التكنولوجيا؛ حيث إنّ " علم المناهج يعتمد على العقل المنظم، وهو وسيلة لتنظيم الكمّ الهائل من المعلومات التي أحدثها عصر التقنيات الحديثة، فالاستعانة بالمناهج العلمية وتنفيذها وتطويرها هي بمثابة أداة عقلية من شأنها أن تسهم في التحكّم في صحّة هذه المعارف"¹⁶، إذ لا يمكن أن يكون فعل التعليم عشوائياً غير منظم وهو في إطار منظومة تربوية وصيّة، مهما كانت الوسائل والأساليب المستخدمة لتحقيقه.

ومن الشروط الأساسية لتنفيذ المناهج المبنية على أسس فلسفة الذكاء الاصطناعي فيما يتعلّق بالمعلّم تكوينه تكويناً مهارياً في مجال استخدام التكنولوجيا الذكية حتّى يصبح هذا التحكّم كفاية من الكفايات البيداغوجية.

ثالثاً: تطوير مناهج اللغة العربية بتنفيذ استراتيجيات الذكاء الاصطناعي:

إنّ مناهج تعليم اللغة العربية شأنها شأن بقية المناهج التعليمية بحاجة إلى تطوير وتحديث يواكب متطلبات التدريس في ضوء فلسفة الذكاء الاصطناعي، بتنفيذ الاستراتيجيات التعليمية التي تعكس التطوّر التكنولوجي الذكي، انطلاقاً من رؤية معاصرة لهذه المناهج تجسدها عملية التصميم والبناء، وتعكسها المكونات الأساسية لها، وذلك على النحو الآتي:

1 - على مستوى الأهداف:

سبقت الإشارة إلى أنّ الأهداف التربوية هي منطلق بناء المناهج وصناعتها، ووضعها موضع التنفيذ فيما بعد، وفي إطار هذا التطوّر الهائل والمتسارع للتكنولوجيا التعليمية الذكية، ينبغي على واضعي المناهج التساؤل حول الأهداف المتوخاة من تعليم اللغة العربية في سياق هذه المتغيّرات، في كلّ مرحلة من المراحل، على المدى القريب والمتوسط والبعيد، على اعتبار أنّ الهدف: "صيغة عامّة للنوايا الواضحة للتربية وتوجّهاتها"¹⁷.

يواجه التعليم اليوم عدّة تحديات، وهنا يجب التساؤل عن موقع ومكانة تعليم اللغة العربية في سياق التحديات العالمية الكبرى، خاصة وأنه من المجالات الأساسية للذكاء الاصطناعي المعالجة الآتية للغات الطبيعية، كما أنّ تطبيقات الذكاء الاصطناعي تجد لها في حقل تعليم اللغات تربة خصبة للاستثمار. إنّ رسم الأهداف الواضحة لمناهج اللغة العربية في عصر الذكاء الاصطناعي سيحدّد السبل المناسبة لتحقيق هذه الأهداف، كي تحافظ اللغة العربية على مكانتها كلغة رسمية للتعليم، لأنّ المنهاج تشريع تربوي ينظم العملية ويوجه مسارها نحو الأغراض التي تتماشى مع السياسات التعليمية، وهو المرآة العاكسة للمنتظر من المدرسة، وهنا يبرز دور السياسة التعليمية وتوجهاتها ونواياها تجاه اللغة العربية وتطوير تعلّمها وتعليمها.

2- على مستوى المحتويات:

إنّ المحتوى التعليمي هو القلب النابض للمناهج التعليمي، فهو الأداة الرئيسة لتحقيق الأهداف وبناء الكفايات، ولذلك تسعى المدرسة من خلال المنهاج إلى مساعدة المتعلّم على اكتساب المعلومات والمهارات والاتجاهات والقيم التي يحتاج إليها للتكيف مع مجتمعه والاندماج بيسر فيه، وتعدّ مسألة اختيار المحتوى وبناءه وتنظيمه وعرضه للمتعلّم من الأمور الهامة جدًّا في بناء المنهاج، وتخضع لمعايير وشروط معيّنة. لقد أصبح المحتوى الذي يقدّمه الكتاب المدرسي محتوى تقليدياً، والكتاب المدرسي فقد مكانته بوصفه الوسيلة الأولى الوحيدة والفعالة للتلميذ، مع وجود محتويات تعليمية رقمية (إلكترونية) متنوعة وثرية وأساليب عرضها شيقة وممتعة تقوم على الأصوات والمشاهدات والألوان والرسومات التي تستند عليها الأطر التعليمية ذات الوسائط المتعدّدة، وهذه المحتويات الرقمية تتكاثر بشكل متسارع، ويمكن الاستعانة بها في مجال اللغة العربية في إطار توجيهات المنهاج.

يحتلّ المحتوى التعليمي الرقمي مكانة هامة اليوم في عصر تتعدّد فيه الموارد التعليمية، وهو محتوى يمكن تعريفه بأنه نوع من المحتوى يدمج كلّ وثيقة رقمية متعدّدة الوسائل الإعلامية، منظّمة أو غير منظّمة، على الخطّ أو خارجه، ويمكن أن يكون المحتوى كتابياً أو سمعياً بصرياً، ويتوزّع هذا المحتوى التعليمي على مصادر متعدّدة مثل المواقع المتوفرة على شبكات الإنترنت والمنصات والبرامج والتطبيقات¹⁸، وعلى العموم، فإنّ البرمجيات التعليمية الذكية متوفرة بشكل كبير، وتتطوّر باستمرار، مع وجود معايير للمفاضلة بينها؛ لأنّها برمجيات تعليمية صمّم هيكلها العام بمراعاة الأهداف والمحتويات وأساليب التقويم، ويمتلك الذكاء الاصطناعي القدرة على إنشاء محتويات تعليمية تراعي حاجات المتعلّمين وتكون ثرية ومتنوعة، كما تراعي الفروق الفردية.

وفي مجال اللغة العربية، يمكن توظيف المحتويات اللغوية الثرية عبر وسائل التكنولوجيا الذكية، حسب نوع المرحلة التعليمية واحتياجات المتعلّمين والأنشطة التعليمية والمهارات والفنون اللغوية، بشكل يتجاوز المحتويات التقليدية من حيث النوع والبناء وطريقة العرض والتقديم.

ويمكن تنظيم المحتوى التعليمي للغة العربية بالمرج بين المحتوى التقليدي الورقي والمحتوى الرقمي الجذاب المثير لاهتمامات المتعلمين والمرتبطة بالتقنية الذكية التي لا تنفصل عن واقعهم اليومي، مع ضبط العملية بمعايير وشروط تراعي الأهداف التعليمية، وتكون هذه المحتويات الذكية مساعدة بشكل كبير، ويمكن الاستعانة بها داخل الصف التعليمي أو خارج المدرسة بتوجيه من المعلم حسب الحاجة، وتختار المحتويات حسب الهدف التعليمية الرقمية التعليمية أو التدريبية. ومن أمثلة ذلك: البطاقات التعليمية الرقمية لتعليم حروف اللغة العربية ومفرداتها لتلاميذ الصفوف الأولى، والألعاب اللغوية الذكية الشيقة والمتعة لتعليم النطق الصحيح والكلمات والقراءة، والاستعانة بالقواميس المدرسية الإلكترونية داخل الصف أو خارجه بتوجيه من المعلم، والتعلم عن طريق الحقائق التعليمية الرقمية (الرزم التعليمية)، التي صممت في مادة اللغة العربية وأشطتها بشكل يتماشى مع متطلبات المنهج في مرحلة تعليمية معينة، ويحقق أهدافا تعليمية محددة، كحقائق القراءة وحقائق التدريب في قواعد اللغة العربية.

3 - على مستوى الاستراتيجيات التعليمية والتقويمية:

هناك توجه عام اليوم واسع الانتشار نحو تفعيل الاستراتيجيات التعليمية والتقويمية القائمة على مبدأ الذكاء الاصطناعي، والاستراتيجية هي " مجموعة من القواعد تنطوي على وسائل تؤدي إلى تحقيق هدف معين، إنها خطة موجهة نحو هدف معين، أما استراتيجية التدريس فهي نشاط خاص موجه يهدف فيه المعلم لتحقيق مهمة معيارية (هدف)، إنها تتمثل في تحديد أسلوب تعليم الطالب"،¹⁹ وهذا المفهوم للاستراتيجية يتوافق بشكل كبير مع بيداغوجيا الكفايات التي تنسجم بالتنوع في طرائق التدريس وأساليب التقويم، وتتطلب الإبداع في اختيارها وتطبيقها، للخروج من النمطية الكلاسيكية في مجال التعليم، ويتناسب توظيف التقنيات الذكية ضمن استراتيجيات التدريس مع متطلبات البيداغوجيا الحديثة المبنية مناهجها على المدخل التقني.

يمكن الاستفادة من التقنيات الحديثة في توجيه فلسفة المنهج التعليمي نحو التنويه بدورها وتفعيل استراتيجيات التدريس والتقويم القائمة على هذه التقنيات، ويمكن التركيز في التعليم على استراتيجيات تقوم على الوسائل الذكية الآتية:²⁰

- روبوتات الدردشة الذكية، المخصصة لمحاكاة الدردشة البشرية، وهي برامج تتيح التفاعل مع المستخدم، وتتخذ عدة تطبيقات مثل تطبيقات المراسلة أو مواقع الويب أو تطبيقات الأجهزة الذكية.
- التعلم التكيفي الذكي: وهو توظيف أساليب الذكاء الاصطناعي في تلبية الحاجات المختلفة لكل متعلم وانطلاقا من أجوبة المتعلم عن الأسئلة يتم اختيار المادة التعليمية والأنشطة.
- الألعاب التعليمية الذكية ذات الهدف التعليمي المحدد، والتي تنسجم بالخيال والتشويق والتحدى.

- تمييز وقراءة الحروف: وهي برامج حاسوبية تقوم بتحويل الصور المطبوعة أو النصوص المكتوبة بخط اليد إلى ملفات نصية.

- تلخيص النصوص بدقة متناهية وطريقة سهلة للقراءة.

وهذه التقنيات بما تتيحه من استخدام للوسائط المتعددة من أصوات وصور وأشكال وألوان، تجذب اهتمام المتعلم وانباهه وتزيد في دافعيته نحو التعلم، وتعمل أيضا على محاربة الملل، وتنوعها يتناسب مع اختلاف الميولات والرغبات مما يؤدي إلى تحسين التعلم وتعزيزه؛ من منطلق أن تكنولوجيا التعليم " ليست أجهزة إلكترونية تستخدم في مجال التعليم، وإنما هي منهج للتطبيق وتجويد الأداء والتطوير العملي التعليمي".²¹ واستخدام التكنولوجيا في التعلم يكون بضوابط وشروط يحددها واضعو البرامج والمناهج.

وتساعد التكنولوجيا الذكية في تعليم اللغة العربية على تعزيز التعلم وتحسينه في عدة مجالات حسب المرحلة التعليمية وأهدافها، مثل تعليم الحروف والكلمات في المرحلة الابتدائية من خلال الألعاب اللغوية الذكية والبطاقات والحقائب التعليمية الذكية، وأيضا تعليم النصوص وزيادة الثروة اللغوية وتقنيات التعبير الوظيفي الإبداعي، وتقنيات التلخيص في مرحلتى التعليم المتوسط والثانوي، وتساعد هذه التكنولوجيا أيضا على تقويم متعلمي اللغة العربية واكتشاف الفروق الفردية من خلال توظيف الاختبارات المتعددة التي توفرها هذه التكنولوجيا، كما يمكن توظيف استراتيجيات تدريسية تقوم على توظيف أكثر من تطبيق وأسلوب ذكي وتجمع بين عدة أساليب، ويمكن توظيف الذكاء الاصطناعي في صناعة الخرائط الذهنية والمفاهيمية الرقمية التي تساعد على اكتساب وتخزين المفاهيم والمعلومات، وعلى الحفظ والاستدراك وتعزيز في مجال قواعد النحو والصرف والبلاغة والعروض، بطرائق ممتعة تحاكي آلية اشتغال الذهن البشري.

خاتمة:

يمكن تطوير مناهج تعليم اللغة العربية وتحديثها في إطار فلسفة الذكاء الاصطناعي ضمن السياق العام والعالمي لتحديث المناهج التربوية وبناءها من منطلق هذا التوجه، وهكذا يتم تجاوز المناهج التقليدية في توجيهاتها وأهدافها ومحتوياتها وطرائقها التدريسية والتقويمية؛ ويكون ذلك بالتوجه نحو تفعيل الاستراتيجيات القائمة على الذكاء الاصطناعي من خلال توظيف العناصر الآتية في المناهج التعليمية:

- __ التحديد الدقيق للأهداف المتوخاة من تعلم اللغة العربية في كلّ مرحلة في عصر الرقمنة.
- __ توظيف المحتويات الرقمية التعليمية في مجال اللغة العربية، حسب المرحلة والحاجة.
- __ توظيف الاستراتيجيات والأساليب المتنوعة التي تتيحها التكنولوجيا الذكية في التدريس والتقويم.
- __ تتم عملية التحديث والتطوير في إطار بيئة تعليمية مناسبة لتنفيذ هذه المناهج.

— وضع معايير لتنظيم العملية التعليمية، وضوابط تتحكم في توظيف التكنولوجيا الذكية في التعليم حتى لا تطفئ السليبيات على الإيجابيات.

هوامش:

- ¹ - ينظر في تفصيل هذه المفاهيم: محمد صابر سليم وآخرون، (2006)، بناء المناهج و تخطيطها، ط 1، بيروت، لبنان، دار الفكر، ص 12، 13، 14.
- ² - ينظر: توفيق أحمد مرعي، ومحمد محمود الحيلة، (2004)، المناهج التربوية الحديثة (مفاهيمها وعناصرها وأسسها وتنظيماتها)، ط 1، عمان، الأردن، دار المسيرة، ص 21.
- ³ - حلمي أحمد الوكيل، ومحمد أمين المفتي، (2005)، أسس بناء المناهج وتنظيماتها، ط 2، عمان، الأردن، دار المسيرة، ص 24.
- ⁴ - إبراهيم محمد عطا، (1999)، المناهج بين الأصالة والمعاصرة، ط 2، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية، ص 190.
- ⁵ - سينظر: سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، (2006)، المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل، ط 1، عمان، الأردن، دار الشروق، ص 64.
- ⁶ - منى يونس بحري، (2012)، المنهج التربوي (أسسه وتحليله)، ط 1، عمان، الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ص 95.
- ⁷ - ينظر: توفيق أحمد مرعي، ومحمد محمود الحيلة، المرجع السابق، ص 131.
- ⁸ - عبد اللطيف حسين فرج، (2008)، تخطيط المناهج وصياغتها، ط 1، عمان، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، ص 87.
- ⁹ - منى يونس بحري، المرجع السابق، ص 75.
- ¹⁰ - ينظر: أحمد حسين اللقاني، (1995)، تطوير مناهج التعلم، ط 1، القاهرة، عالم الكتب، ص 127-128.
- ¹¹ - سناء منعم، ومصطفى بو عناني (2015)، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، ط 1، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص 88.
- ¹² - علاء عبد الرازق السالمي، (1999)، نظم المعلومات والذكاء الاصطناعي، ط 1، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع، ص 55.
- ¹³ - آلان بونيه، (1993)، الذكاء الاصطناعي واقعة ومستقبله، ترجمة علي صبري فرغلي، ط 1، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 11.
- ¹⁴ - ينظر نهى إبراهيم عيسى آل مسلم، (2023)، اتجاهات معلمات العلوم نحو استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية بإدارة تعليم منطقة جازان، رسالة ماجستير، تخصص تقنيات التعليم، كلية التربية، جازان، المملكة العربية السعودية، ص 12.
- ¹⁵ - ينظر نرجس قاسم مزروق العليان، (2019)، استخدام التقنية الحديثة في العملية التعليمية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد رقم 42، ص 274.

- ¹⁶ - المرجع نفسه، ص 276.
- ¹⁷ - عبد الكريم غريب، وآخرون، (1998)، معجم علوم التربية، ط 2، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ص 33.
- ¹⁸ - ينظر هند علوي، ومحمود مسرودة، (2020)، المحتوى الرقمي العربي عبر شبكة الإنترنت (اقتراح تصميم بوابة عربية لإدارة المحتوى العربي)، مجلة علوم المعلومات علم الأرشيف وعلم المكتبات، مخبر البحث حول أنظمة المعلومات في الجزائر، المجلد رقم 4، العدد رقم 1، ص 66.
- ¹⁹ - محمد محمود الحيلة، (2002)، طرائق التدريس واستراتيجياته، ط 2، العين، الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، ص 77.
- ²⁰ - ينظر نهي إبراهيم عيسى آل مسلم، المرجع السابق، ص 14 - 15.
- ²¹ - نرجس قاسم مرزوق العليان، المرجع السابق، ص 273.

قائمة المراجع:

الكتب:

- أحمد حسين اللقاني، (1995)، تطوير مناهج التعليم، ط 1، القاهرة، عالم الكتب.
- آلان بونيه، (1993)، الذكاء الاصطناعي واقعة ومستقبله، ترجمة علي صبري فرغلي، ط 1، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- إبراهيم محمد عطا، (1999)، المناهج بين الأصالة والمعاصرة، ط 2، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
- توفيق أحمد مرعي، ومحمد محمود الحيلة، (2004)، المناهج التربوية الحديثة (مفاهيمها وعناصرها وأسسها وتنظيماتها)، ط 1، عمان، الأردن، دار المسيرة.
- حلمي أحمد الوكيل، ومحمد أمين المفتي، (2005)، أسس بناء المناهج وتنظيماتها، ط 2، عمان، الأردن، دار المسيرة.
- سناء منعم، ومصطفى بوعناني (2015)، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، ط 1، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، (2006)، المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل، ط 1، عمان، الأردن، دار الشروق.
- عبد الكريم غريب، وآخرون (1998)، معجم علوم التربية، ط 2، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة.
- عبد اللطيف حسين فرج، (2008)، تخطيط المناهج وصياغتها، ط 1، عمان، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع.
- علاء عبد الرازق السالمي، (1999)، نظم المعلومات والذكاء الاصطناعي، ط 1، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع.
- محمد صابر سليم وآخرون، (2006)، بناء المناهج وتخطيطها، ط 1، بيروت، لبنان، دار الفكر.
- محمد محمود الحيلة، (2002)، طرائق التدريس واستراتيجياته، ط 2، العين، الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي.
- منى يونس بحري، (2012)، المنهج التربوي (أسسه وتحليله)، ط 1، عمان، الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع.

المجلات العلمية:

- نرجس قاسم مرزوق العليان، (2019)، استخدام التقنية الحديثة في العملية التعليمية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد رقم 42، من ص 271 إلى ص 288.
- هند علوي، ومحمود مسرورة، (2020)، المحتوى الرقمي العربي عبر شبكة الإنترنت (اقتراح تصميم بوابة عربية لإدارة المحتوى العربي)، مجلة علوم المعلومات علم الأرشفة وعلم المكتبات، مخبر البحث حول أنظمة المعلومات في الجزائر، المجلد رقم 4، العدد رقم 1، من ص 62 إلى ص 88.

الرسائل الجامعية:

- نهى إبراهيم عيسى آل مسلم، (2023)، اتجاهات معلمات العلوم نحو استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية بإدارة تعليم منطقة جازان، رسالة ماجستير، تخصص تقنيات التعلم، كلية التربية، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية.